قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله تعالى هو الجهل بوجوده
والايمان بالله تعالى هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا
راي الا ان يكون هو الجهل بالله تعالى فان عصى بقول او فعل نص
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او اجمع المسلمون انه لا يوجد
الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله
لكن لما قارنه من الكفر فالكفر بالله تعالى لا يكون الا باحد ثلاثة
امور احدها الجهل بالله تعالى الثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر
الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم
والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك
القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى قال فهذان الضربان وان لم
يكونا جهلا بالله تعالى فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما
من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك
من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر
من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من
قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمنا
فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هنا
فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو
الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه
عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك
اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما الكفر من اعتقد
ان مقاله حق واحتج هولاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله
عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لان قدر الله
تعالى علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله فغفر الله تعالى له
قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها
الا الاقل

٢٢١

الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر
بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث
الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه
فيكون الشك به حينئذ غير كفر فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات
العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها
وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت
لبه فلم يواخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع
مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته
الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم
في قوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم
ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على
مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يوديه اليه قوله ويسوقه اليه
مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا
من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا
سائر فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم يواخذهم
بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه
لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يوول اليه على ما
اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا
فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك
اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنه يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)